:المقدمات و اللوحات الاخرى

مادة نصوص من الادب العربي قبل الإسلام الصف الأول الفصل الثاني قسم اللغة العربية

ا.م.د.اياد سالم ابراهيم

١-اللوحة الطللية :

الاطلال في ابسط معانيها ما بقي من أثار الدار بعد نزع الخيام ورحيل الاهل والاحبة ووجودها في القصيدة الجاهلية يمثل لوحة فنية من لوحات القصيدة الجاهلية ، إنّ الحنين إلى الطلل يمثل الحنين إلى الوطن لان الطلل ومايحيط به ومايتناثرحوله من الدمن يمثل ذكريات الشاعرالتي حملها اجمل الأوقات واسعد الأيام فلا غرابة اذا وجدنا الشاعر الجاهلي يفرغ ذاتيته وشخصيته في القصيدة الجاهلية محاولاً بذلك إثبات وجوده الضائع في الصحراء ومحاولاً العثور على منزل يلم حياته وسط رحلة لاتستقر وتنقل بلا توقف وقد انعكس هذا حتى في الشكل العام للقصيدة الجاهلية فبعد ان ينتهي الشاعر من الحديث عن طلله الطويل أو القصير على طلله الشاخص أو الدار سينتقل إلى حديث الذكريات وليس هناك اعذب من ذكريات حبيبته وايام وصلها وهجرها والواقع ان ذكرى الديار ليست غريبة لأنها تمثل قطعة من الحياة تهرم كلما مضى عليها الزمن لذا اصبح البكاء على الطلل يمثل البكاء على الحياة نفسها وان البكاء على الحياة يمثل الانطلاق في تفكير الشاعر الجاهلي الذي يربط بين الحرمان والارتحال من هذا المكان فلم يبق امام الشاعر شيء يناجيه سوى المعالم التي صعب حمايتها رغم ان للظواهر الطبيعية سلطة عليها لأزالتها فكلما كان الاثر اكثر إندراساً كان اقوى وابعث في استثارة عواطف الشاعر،

يعد الطلل بالنسبة للقصيدة الجاهلية بداية المرحلة الشعرية التي تمر من خلالها احاسيس الشاعر الجاهلي وتنبسط بعدها افكاره في اطار موضوع متكامل ومن الطبيعي ان تسهم خفقات الطلل المتناهية وهي تبدو بشكلها المتقادم في خلق المناخ العاطفي المنبعث من هذه الاثارة وقد وجد الشعراء في مثل هذه المواقف ما يثير عواطفهم الحادة ويلزمهم بالوقوف عند هذه القطعة الزمنية العزيزة التي ذابت بين حناياها اعز الايام واندثرث عند نؤيها واحجارها اغلى ذكريات الصبا وايام الشباب الزاهرة ولهذا كان حديث الطلل عندهم من اهم المضامين التي ترددت في القصيدة وربما كان هذا الاهتمام نتيجة للعلاقات الوثيقة المرتبطة بانسانية الشاعر الجاهلي وتنازعها مع ميوله وعواطفه وماضيه وحاضره

لم يكن البكاء او النحيب او الوقوف عند هذه البقايا الطللية عاطفة آنية ضائعة او وقفة تآملية عابر ة تحفزها دواعي الوقوف وتثيرها اسباب التامل ولم تكن هذه المشاعر ذاتية ضيقة يعانيها الشاعر بصورة منفردة او يتحسس آلامها بشكل مجرد ،وانما هي ظل حزين يلف الشاعر وهو يقترب من هذه البقايا وقد فرض هذ الظل شعور الجماعة التي ينتمي اليها بالحرمان من الوطن المكاني والبعد عن المباشرة الجماعية التي يوجهها الاستقرار والانسلاخ من معالم المقام الثابت الذي تتشوق اليه نفسه ؛لان هذه المشاعر كانت توحي للشاعر وجماعته بهذه القدرة على الاقامة ،والاحتفاظ بالذكريات واسترجاع الزمن الزاهي الذي كانت صوره تتداعى في ذهنه ملتوية ومشوهة وتتعالى امام عينه ملامح ملاعب الصبا مطموسة ومندثرة ،وتسهم هذه العوامل بابراز الحنين المشحون بلوازم الغربة لتلهمه بصورة الوقوف الحزينة

الاهتمام نتيجة للعلاقات الوثيقة المرتبطة بانسانية الشاعر الجاهلي وتنازعها مع ميوله وعواطفه وماضيه وحاضره

ومن الاشياء التي اعتمد عليها الشعراء للتدليل على خلود أطلالهم هي:

١- التحديد المكاني كقول امرئ القيس:

قفانبكِ من ذكرى حبيب ومنزل بسقط اللوى بين الدخول فحومل

فالتحديدات المكانية تسهم في اعطاء المكان صفة الوجود على سطح الارض وعدم مجهوليته.

٢- الحيوانات والنباتات: كقول الشاعر:

ترى بعر الارآم في عرصاتها وقيعانها كأنه حب فلفل

فالحياة تعج في مكان الطلل فالحيوانات ترود الطلل في ظل توفر النباتات ومستلزمات الحياة.

٣- الوشم: كقول طرفة بن العبد:

لخولة اطلال ببرقة ثهمد تلوح كباقي الوشم في ظاهر اليد

فالوشم يحمل في طياته دلالات تدل على الخلود لكونه يبقى فترة اطول فضلاً عن لونه الاخضر الذي يدل على لون الحياة الذي يدل على

النضارة والتفتح ومقاومة تقادم الزمن.

٤- عدم السماح للظروف الطبيعية والمناخية ان تخفي معالم الطلل أو اثاره فالرياح في تعاقبها على طلل امرئ القيس لم تمح أثاره بقوله:

فتوضح فالمقراة لم يعف رسمها لما نسجتها من جنوب وشمأل

يحفظ من معلقة زهير بن أبي سلمى(المقدمة الطللية)

أَمِنْ أُمِّ أَوْفَى دِمْنَةٌ لَمْ تَكَلَّمِ	بِحَوْمَانَةِ الدَّرَّاجِ فَالْمُتَثَلَّمِ
وَدَارٌ لها بالرَّقْمَتَيْنِ كأَنَّهَا	مَرَاجِيعُ وَشْمٍ فِي نَوَاشِرِ مِعْصَمِ
بِهَا الْعَيْنُ وَالأَرْآمُ يَمْشِينَ خِلْفَةً	وَأَطْلاَؤُهَا يَنْهَضْنَ مِنْ كُلِّ مَجْثَمِ
وَقَفْتُ بِهَا من بعْدَ عِشْرِينَ حِجَّةً	فَلأْياً عَرَفْتُ الدَّارَ بَعْدَ تَوَهُّمِ
أَثَافِيَ سُفْعًا فِي مُعَرَّسِ مِرْجَلٍ	وَنُؤْياً كَجِذْمِ الْحَوْضِ لم يتَثَلَّمِ
فَلَمَّا عَرَفْتُ الدَّارَ قُلْتُ لِرَبْعِهَا	أَلا أنْعِمْ صَبَاحاً أَيُّهَا الرَّبْعُ وَاسْلَمِ

٢-لوحة الغزل والنسيب :

الغزل موضوع قديم شاع بين شعراء العصر الجاهلي فعبروا من خلاله عن الجمال وشغل حيزا كبيرا من دواوينهم وكثيرا ما جعلوه لحنا يفتتحون به قصائدهم ((فنجد فيه تسجيلا لخواطرهم ، وتذوقا لمحاسن المرأة وصفاتها وسحرها)) وتعبيرا عن عاطفة الإعجاب بالمرأة .

يعد الغزل من أصدق فنون الشعر عاطفة ، وأقدرها على التعبير عن الحالات النفسية ، وهو أبعد ما يكون عن النحل والوضع ، وهو لا يمثل عاطفة فردية ملتصقة بقائله ، بل يظهر عاطفة إنسانية يشترك فيها الناس جميعا على مختلف مستوياتهم وطبقاتهم ، وعصورهم ، فتهتز له النفوس ، والمرأة سواء أوردت في المقدمة أم بغيرها ، فقد مثلت وضعا مهما للغاية ، فهي عنصر حيوي فعال في تكوين الشاعر الجاهلي ونظراته إلى البيئة ، والحياة فهي الحبيبة التي افتتنوا بها وبجمالها ((لأنها كانت من أبرز مظاهر الجمال عندهم)) .

إن طبيعة البلاد وتفاوتها في مدى صلاحها للاستقرار جعلت المرأة في الغالب مرتحلة مع قبيلتها مخلفة وراءها قلوبا تنبض بحبها ألما وشوقا إليها ، فدفعهم هذا إلى أن ينظموا قصائدهم غزلا في حبيباتهم ويصوّروا فيه الألم والوجد فضلا عن رسم الحبيبة بأجمل صورة يرونها في لوحاتهم الغزلية ، وهي عادة تدور حول موضوعين : ((وصف الحبيبة وصفا حسيا أو معنويا والتغني بجمالها الجسدي والنفسي من ناحية ، وتصوير عواطف الشاعر ومشاعره وما تفيض به نفسه من حب وهيام ولوعة وأمثال هذه الانفعالات التي تجيش بها نفوس العاشقين من ناحية أخرى)) ، وإن مكونات البيئة الموضوعية ظلت تكشف عن إبداع الشعراء في توظيفها لنمط تجاربهم الموضوعية والشعرية المختلفة ، والعرب كانوا قد ((أدركوا الجمال وتذوقوه ، أدركوه بالطبيعة ، وأدركوه بالمرأة))

٣-لوحة الظعن :

وهي من اللوحات الشعرية القديمة التي احتوتها القصيدة العربية لمالها من ارتباط بواقع حياة الشعراء الجاهليين ، ولرحلة الظعن دواع كثيرة منها ما يتعلق بطبيعة البيئة ، فتفاوت البقاع بالكلأ والماء أدى إلى تحمل الظعون صوب بقاع أخرى طيبة النبت والكلأ والماء . علاوة على الدواعي السياسية والاقتصادية .

هذه الدواعي سببت الفرقة بين الشعراء وأحبتهم وتركت في نفوسهم الألم ، وجعلت أشعارهم تنبض بالألم والحنين ((إذ ليس يصدع القلب أمر أكثر مما يصدعه عاشق تتساقط نفسه حسرة وضعفا خلف حبيبة واعدة صروم)) والشعراء كان يعزُّ عليهم أن يروا رحال حبيباتهم تشد للرحيل ، فتحترق قلوبهم وتشد نظراتهم بهودج المحبوبة وتعلق به.

وهذا الواقع من الحل والترحال وظّفه الشعراء في لوحة غدت مستوعبة لمعاناتهم وهمومهم من جراء رحيل الأحبة ، ولا نستبعد أن تكون بعضها لوحات تقليدية لجأ إليها بعض الشعراء لمجاراة الشعراء الأوائل ((وتغلب على الشعراء في هذا الموقف العاطفة التي يشاركها الوصف حينا)) والعاطفة التي تتولد هنا ليست كالعاطفة في الأطلال ؛ لأنها لا تتصل بمخلفات وآثار الراحلين بل تتصل بذاتهم وبخفق

قلوبهم والتياع عواطفهم وباليد التي تمد إلى اليد ، ثم لا تملك العين أن تنظر إلى العين بقدرهم الذي يجري بغير ما يهوون.

هـــل تـــرى مـــن ظعـــن بـــاكرة يـــتطلعن مـــن النجـــد أســـر
وعلـــى الأحـــداج ألـــوان الفنـــا وخزامـــى الـــروض يعلـــوه الزهـــر
ســـبكت فـــي كـــل عـــام ودقـــه فظبـــاء الـــروض يقـــر مـــن الثمـــر

ثانيا : لوحة الرحلة :

تعود الشعراء أن يسكبوا عبراتهم وآهاتهم على ماض رحل بذكريات جميلة وحياة سعيدة حيث الخصب في مقدمات قصائدهم الافتتاحية ، فبعد أن يطمئنوا على أنهم قد أفرغوا آلامهم ، وذكرياتهم في لوحاتهم الافتتاحية التي كان لها أن تستوعب مشاعرهم الذاتية أو الجماعية . يحاولون أن يستلوا أنفسهم عند اشتداد أحزانهم وهمومهم من حديث الذكريات ، وحالة الذهول التي اعترتهم في أثناء تطلعاتهم إلى ما هو قائم بكل ما فيه سواء الأطلال أم غيرها ، ولا سيما بعد شعورهم بأن هذا الماضي أصبح وهما لا يمكن بعثه ، فيحاولون الانصراف عن حديث الذكريات ، والتخفيف عن الإحساس بالماضي بالرحلة ، التي هي صراع الواقع ونسيان الماضي بمواجهة صراع الحاضر . لقد رحل جزء من الحياة ، فسيبدأ الآن جزء آخر بقطع المفاوز فوق الإبل، فينتقل الشعراء إلى الرحلة عبر جسور لفظية تكررت بصيغها عند الشعراء.

يقول النويهي : ((يشتد بالشاعر حزنه وألمه على فراق حبيبته ، فلا يرى منجاة منها إلا أن يعلو ظهر ناقتة فيسرع عليها ، أما إلى اللحاق بتلك القبيلة المهاجرة ، وأما إلى الفرار من الديار التي هاجت عليه تلك الذكرى الأليمة ، وعلى كلا الزعمين يتيح له هذا التخلص أن ينتقل إلى وصف ناقته وأسفاره على هذه الناقة)).

والشعراء يكادون يتفقون في تكوين صورة الرحلة التي تكون إما على فرس أو على ناقة من خلال وصفهم للصحراء وأحوالها وأهوالها الموحشة وهم على ظهور النوق ويسعون إلى أن يخصوا هذه النوق بالوصف فيوفروا لها من الصفات التي تتلاءم وطبيعة الصحراء الموحشة المقفرة ومصاعبها ومخاطرها فيسعون في بعض الأحيان إلى تشبيهها ببعض الحيوانات المتصفة بالسرعة والنشاط والقوة ، وهم يوفرون لها من الصفات التي تجعلها كفيلة ببلوغ غاياتهم التي يسعون إليها واجتياز المصاعب التي تمر عليهم.

ويؤيدنا قول الدكتور الجادر إذ يجد أن ((تفاصيل الرحلة تتجه إلى تشخيص نموذج البطولة الذي يراود طموح الشاعر لمواجهة الواقع البيئي ، وهكذا تنفتح أفق اللوحة لاستقبال صور الناقة التي تغدو وسيلة الشاعر وأداته في ميدان الصراع ، فيكون لها أن تفوز من جهده ما يمنحها من سمات القوة والصلابة والصبر لأن الجهد الشعري يبقى منتميا إلى مناخ التجربة النفسي)).

وكيف لا تفوز الناقة من جهد الشاعر بصفات القوة وهي ((شريكته في مسراته وأحزانه ومعوانه على بلوغ مآربه وإمضاء الهموم ، وبذا قويت الرابطة بينهما حتى يكاد ليناجيها بخلجات نفسه وتناجيه)).

علاوة على كونها أحد الأعمدة التي شكلت مسار حياتهم ؛ لأن حياتهم قائمة عليها وعلى أوبارها وجلودها وألبانها ولحومها ، فالتلازم بينهما قائم فهي أعز شيء لدى العربي لا ينافسها إلا الفرس بهذه المكانة .

فعـد عنـك همـوم الـنفس إذ طرقـت واشـدد برحلـك مـذعان السـرى سدسـا

كأنهـــا بعـــدما طـــال النجـــاء بهـــا محـــاذر ظـــل يحـــدو ذبـــلا عجســـا
أو مفـــرد اســـفع الخـــدين ذو جـــدد جـــادت لـــه مـــن جمـــادى ليلـــة رجســـا
وبـــات ضـــيفا لأرطـــاة يلـــوذ بهـــا فـــي مـــرجحن مرتـــه الـــريح فانبجســـا

ثالثا: الغرض الاساس : وهو يتنوع بتنوع اغراض وموضوعات الشعر العربي التي تم دراستها في الكورس الاول